doi.org/10.52866/esj.2020.01.16.10

السكيثيون
دراسة في التاريخ السياسي والعسكري

م.م عادل فائق رشيد
الجامعة العراقية / كلية الاداب

المستخلص :

هـذه الاقـوام البدويـة التـي ظهـرت في أواسـط آسـيا اسـتطاعت وخـلال فـترة قصـيرة مـن الزمـن مـن أن تصـل إلى مصـاف الامبراطوريـات الفارسـية القديمـة القريبـة منهـا جغرافيـاً مثـل المملكـة الميديـة والاخمينيـة، واسـتطاع هـؤلاء مـن أن يطـردوا الاقـوام السـميرية مـن شـبه جزيـرة القـرم ويحلـوا محلهـم، اسـتطاع السـكيثيون مـن أن يحققـوا تقدمـاً كبـيراً عـلى نطـاق صناعـة الاسـلحة وبرعـوا في التعامـل مـع المعـادن وقامـوا بتطويـر الآلات الحـرب التـي شـاهدوها أثنـاء تنقلهـم في منطقـة الـشرق الأدنـى القديـم واحتكاكهـم المبـاشر مـع بـلاد آشـور فنراهـم طـوروا الـدروع وحسـنوها إلى درجـة كبـيرة لتأمـين حمايـة شـبه كاملـة لمقاتليهـم مـن حملـة الرمـاة، كذلـك يبـدو مـن خـلال دراسـة مـا تركـوه مـن هدايـا جنائزيـة بـأن مفهـمومهـم الدينـي تركـز حـول عقيـدة الايـمان بحيـاة مـا بعـد المـوت فنراهـم قـد جهـزوا القبـور بكامـل الاحتياجـات الحربيـة التـي يحتاجهـا الفـرد السـكيثي المقاتـل مـن أقـواس وسـهام وسـيوف ورمـاح لأجـل الصيـد والقتـال والتـي أيضـاً رافقـت قبـور الاطفـال.

الكلـمات المفتاحيـة : سـكيثيون – كمريـين – شـبه جزيـرة القـرم – قبائـل محاربـة – دارا الاول – سـكودات – سـاكاي – رمـاة السـهام – الشـامانية – الالـه اريـس – أشـكناز – الاشـوريون – الملـك سـنحاريب – الملـك سرجـون الثـاني – تابـال – هلاكـو – الاثـاث الجنائـزي.

Abstract :

We reached the conclusion that the Bedouin Tribes that emerged in central Asia known as Scythians, managed becoming one of the greatest Empires beside the other ancient Persian Empires like the Medeans and Achamenians, Scythians managed evicting the Cimmerians from Crimea.

The Scythians were able to achieve huge progress in weapons manufacturing and mastered the craftsmanship of metallurgy and have developed the gears of war sought while wandering the Middle East especially after reaching Assyria, they enhanced armors to provide the ultimate protection to knights, after studying the burial gifts it seems that their religious aspect centered around a belief in some kind of afterlife were graves for both adults and children contained Bows, swords, spears and whatever any Scythian individual needs in order to hunt or fight in his afterlife.

المقدمة

السكيثيون من الأقوام الهندو-أوربية التي استوطنت مناطق روسيا وأوكرانيا في حدود القرن الثامن ق.م، أسست هذه الاقوام البدوية مملكة قوية وغنية سيطرت على ما يعرف اليوم بـ (شبه جزيرة القرم) أستمر عهد هذه الامبراطورية لعدة قرون (700-300ق.م) قبل أن يتم اخضاعها والسيطرة عليها من قبل السارماتيين في حدود القرن الرابع ق.م، لعبت هذه الاقوام دوراً مهماً في تاريخ الشرق الادنى القديم وفي تاريخ بلاد آشور السياسي وبعد نجاح الآشوريين في كسب ود السكيثيين بمعاهدات الصداقة والزواج السياسي أسهم السكيثيون أخيراً في اسقاط بلاد آشور بعد وفاة الملك الآشوري آشوربانيبال (668-628 ق.م) سوية مع الميديين والكلدانيين.

يهدف هذا البحث إلى إلقاء نظرة عميقة عن حياة و انتشار هذه الاقوام البدوية التي أسست مملكة قوية امتدت الى حدود مصر وفلسطين، فضلاً عن إلقاء الضوء على تسمياتهم واللهجة التي تحدثوا بها وبيان مدى براعتهم في فنون القتال وما صنعوه من أدوات للحرب تلك التي زخرت بها قبورهم كالدروع، السيوف، أقواس السهام والرماح، فضلاً عن تميزهم في صناعة الأواني الذهبية التي ربما تضاهي في صناعتها كنز النمرود الآشوري.

كذلك فإن من أهدافنا في هذا البحث التعرف على جوانب من تنظيماتهم العسكرية والاسلحة التي استخدموها في حروبهم وسياستهم في الدفاع والتوسع ومن ثم زوال هذه المملكة لحساب جيرانهم السارماتيين في حدود القرن الثالث ق.م.

وقد أملت طبيعة البحث تقسيمه إلى عدة مباحث ومطالب تناول الأول منها الحياة العامة لمجتمع السكيثيون وتسميتهم ولغتهم، وتناول المبحث الثاني توسع وانتشار السكيثيين وحروبهم مع الاشوريين ومجابهتم للفرس الاخمينيين وخصص المبحث الثالث لدراسة تنظيماتهم العسكرية والاسلحة التي استخدمت في الدفاع والهجوم.

المبحث الاول
أصلهم ومناطق سكناهم

أ - أصلهم وانتشارهم:

يعد السكيثيون من الاقوام البدوية ذات الأصول الهندو - أوربية التي كانت تستوطن بادئ الامر مناطق أواسط آسيا إلى جنوبي روسيا حالياً خلال القرنين الثامن والسابع قبل الميلاد، تمركز السكيثيون في (شبه جزيرة القرم[1]) وأسسوا لامبراطورية قوية حكمت عدة قرون قبل أن تنتهي في حدود القرن الرابع ق.م[2].

كسب السكيثيون مهابة واحتراماً لشجاعتهم في الحروب وخاصة بقوة فرسانهم اذ كانوا من أوائل الاقوام الذين اتقنوا فن ركوب الخيل الذي أمن لهم القدرة على الانتشار السريع، هجرتهم من أواسط آسيا جاءت بهم الى مناطق الاقوام (السميرية) او ما تسمى اصطلاحاً اليوم بالاقوام (الكمرية) التي هيمنت على منطقة القوقاز والسهول الشمالية للبحر الاسود (أنظر الشكل 1)، بعد حرب استمرت لثلاثين عاما تمكن السكيثيون من القضاء على

(1) تقع شبه جزيرة القرم على ساحل البحر الاسود شرقي أوروبا وهي محاطة بالبحر الاسود وبحر ازوف، عن ويكيبيديا.

(2) Ev. Cernenko, The Scythians 700 - 300 B.C, Men at war series, Osprey Publishing, London, 1983, P.3.

الكمريين وأصبحوا أسيادا لامبراطورية امتدت من غرب بلاد فارس حتى حدود مصر، شن الميديون من جهة اخرى حربا على السكيثيين ودفعوهم بأتجاه (اناتوليا[1]) تاركين لهم السيطرة على ارض من حدود بلاد فارس حتى حدود روسيا جنوبا[2].

عاش السكيثيين في بداية العصر الحديدي وشغلوا فترة من تاريخ شرقي اوروبا استمرت من القرن الثامن الى القرن الثالث قبل الميلاد وعلى الرغم من انهم لم يتركوا سجلات كتابية فقد عرف الكثير عن عاداتهم ومظهرهم اكثر من أي من الحضارات الاحدث زمنا، حدودهم الجنوبية كانت تؤلف جزءا من الحدود الشمالية لعالم الاغريق لاسيما في المدن التجارية الأغريقية التي امتدت شمالا عند حدود البحر الاسوداً ما ذكره (هيرودوتس[3]) عن السكيثيين يعد مصدرا كتابيا مهما عن تاريخ هذه الاقوام التي اظهرت شغفا كبيرا في صناعة الات الحرب[4].

ب- التسمية:

عرف السكيثيون بعدة تسميات منها (سكيث- ساكاي – ساكا) والتي تترجم في اللغة الفارسية القديمة من الكلمة (سكودات) والتي تعني (رماة السهام) وتم اعتبارهم حسب هذه التسميات من جملة الاقوام الايرانية القديمة على الرغم من اننا نعلم انهم هاجروا من اواسط اسيا الى جنوبي روسيا[5].

كما وردت تسميتهم في العهد القديم (التوراة) تحت (اشكناز)[6] وتم وصفهم في العهد القديم بكونهم شعب بدوي من الجنس الاري وحددوا موطنهم جنوبي روسيا وبدأوا بزحفهم نحو الشرق الادنى القديم في حدود القرن السابع قبل الميلاد ووصلوا في زحفهم عند حدود مصر اذ تصدى لهم الحاكم المصري انذاك (بسماتيك الاول 664-610ق.م)، سيطروا بعدها على مدن سورية مهمة مثل عسقلان واشدود وذكر في سفر ارميا بكونهم الاعداء الذين يهددون اورشليم من الشمال.[7]

جـ - معتقداتهم:

تركزت معتقداتهم الدينية حول الايمان بـ(الشامانية) وهي ظاهرة دينية انتشرت في اسيا الوسطى وسيبيريا وتهتم بمعالجة المرضى روحيا ولها وجود في وقتنا الحالي في ديانة اليابان

المسماة (الشنتو)، اعتقد سحرة الشامان بان لهم قدرة التغلب على النيران وكذلك انجاز الاشياء

عن طريق تحضير الارواح[8]، وكذلك بمجموعة من الالهة مثل الاله (بابايوس وزوجته)، علما ان

(1) اناتوليا او أندولو التركية وتمثل منطقة اسيا الصغرى حاليا أو ما يؤلف الجزء الاسيوي من تركياً عن الموسوعة البريطانية.

(2) Ibid., P. 4.

(3) هيرودوتس مؤرخ أغريقي عاش ما بين (484-425ق.م) ويعد أول من أستخدم مصطلح هستوريا.

(4) Cernenko E V, and McBride, Men-At-Arms, the Scythians 700300- B.C, Osprey Publications, London, 1983, P.3.

(5) J. Harmatta, "Herodotus, historian of the Cimmerians and the Scythians" in: Hérodote et les peuples non Grecs. Neuf exposés suivis de discussions (Entretiens sur l' Antiquité classique, tome XXV) (1990 Genève), P.113.

(6) سفر التكوين10:3

(7) سفر ارميا13:1-15

(8) Joze, Stevens, and Setledzky, Secrets of Shamanism, Avon Books, New York, 1988, P. 9.

هذه الالهه تشبه في المجمل والصفات العامة الالهة الاغريقية من ناحية تمتعها بالسلطة والسيطرة على ظواهر الطبيعة، كذلك يعتبر الاله (اريس) واحدا من اهم الالهة عند السكيثيين اذ كانوا يجمعون لهذا الاله كميات كبيرة من الحطب في كل سنة وينصبون عليها سيفا كبيرا من سيوفهم ويصبون دماء اعدائهم من الاسرى على هذا السيف ويعتبرون هذه الطقوس قربانا للاله، تشير التنقيبات الاثارية التي اجريت في هضبة وجبال التاي بانه كان من جملة الطقوس الاخرى للسكيثيين هو احواض الاستحمام بنبات القنب[1].

د – لغتهم:

تنتمي لغة السكيثيين الى مجموعة اللغات الهندو-أوربية وهي اقرب احتمالا الى لغة سكان اسيا ولسوء الحظ يعرف القليل فقط عن لغة السكيثيين ولكنه من المرجح ان تكون اللغة او اللهجة الاوسيتية هي اللغة الاقرب الى لغة السكيثيين ولربما تمثل مرحلة صوتية اقدم استخدمها السكيث لهجة لهم[2].

المبحث الثاني
التوسع والانتشار

أ – السكيثيون وبلاد اشور:

لعل اقدم ذكر عن السكيثين ورد من المصادر الكتابية الخاصة ببلاد اشور يعود الى رسالة بعثها الملك سنحاريب الى والده الملك سرجون الثاني (721–705 ق.م) بخصوص الوضع في حدود بلاد اشور الشمالية، اذ ذكر السكيثيون جنبا الى جنب مع السميريين بشأن تواجدهم في منطقة (أورارتو) أرمينيا حاليا، هذه الرسالة تعود الى الجزء الاول من حكم سرجون الثاني (721–705 ق.م)[3].

ورد ذكر هؤلاء الاقوام الجدد على بلاد اشور بأسم (سكيثيين) او (أشكوزيين) وبدأوا يهددون المقاطعات الاشورية والمستوطنات التجارية لاسيما تلك التي امتدت في اقليم (كيليكية) في اسيا الصغرى في حدود سنة (679 ق.م)، وسبق لـ (سرجون الثاني 721–705 ق.م) أن قاتل السميريين وطردهم الى ما وراء نهر (قزل أرمق[4])[5].

على الرغم من العمليات العسكرية التي قام بها سرجون الا ان ضغوطهم زادت حتى فقد الاشوريين مدينتين مهمتين الا وهما (تابال[6] و هلاكو)[7].

المعروف أن السكيثيين تقدموا بأتجاه بلاد اشور في حدود القرن السابع ق.م ووقعت عدة معارك بين الطرفين ذكرتها الحوليات الاشورية[8]، بعد فترة المناوشات بين الطرفين تمكن الملك الاشوري (أسرحدون 680–669ق.م) في كسب السلام مع السكيثيين ولو لفترة مؤقتة بعد ان قدم الهدايا الثمينة فضلا عن المصاهرة السياسية بتزويج اسرحدون

(1) Kuznetsov. Anna, Shamanism and Orphic Tradition, Novosibrisk State University, Russia, P.2.

(2) Lubotsky, Alexander, Scythians Elements in Old Iranian, P. 190, Leiden University, 2002.

(3) Tsetskhaldze, op.cit., P. 40.

(4) يقع هذا النهر حاليا في مدينة سامسون شمال تركيا، عن ويكيبيديا.

(5) باقر، طه، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، ط2، بيروت، 2009، ص 574–575.

(6) تقع مدينة تابال على حدود دولة اشور الشمالية الغربية عند قرية أيشار التركية عن ويكيبيديا.

(7) ساكز، هاري، عظمة بابل، ترجمة عامر سليمان، الموصل، 1979، ص 155.

(8) Luckenbill, ancient records of Assyria and Babylonia, London 1968, P. 51.

لابنته من ملك السكيثيين (بارتاتوا)، من هناك حول السكيث أنظارهم الى فلسطين ومصر حيث تمكن حاكم مصر (بسماتيك) من انقاذ بلاده بدفع جزية كبيرة للسكيثيين.

رجع السكيثيون من مصر الى فلسطين ودخلوا مدينة بيت شان (مدينة بيسان[1]) حاليا في شمالي فلسطين والتي سميت لاحقا (سكيثوبولس) أي مدينة السكيثيون[2]، تحالف السكيث مع الميديين وأستطاع جيش التحالف الميدي – السكيثي من السيطرة على مدينة نينوى سوية مع الكلديين في 612 ق.م، بعد اسقاط الحاضرة نينوى بدا ان السكيثيين قد سيطروا على ارجاء واسعة من اسيا وفرضوا الاتاوات الامر الذي دفع الملك الميدي (كي- اخسار633-584 ق.م) دعوة قادة السكيثيين الى وليمة النصر وقام أثرها بقتلهم جميعا والتخلص منهم، أنسحبت على اثر هذه المؤامرة القبائل السكيثية عائدة الى شمال القوقاز في نهاية القرن السابع ق.م[3].

ب - السكيثيون في مواجهة الغزو الفارسي:

في حدود نهاية القرن السادس ق.م تمكن الملك الاخميني دارا الاول (الكبير) (داريوس521-486ق.م) من تأسيس امبراطورية كبيرة امتدت من مصر حتى الهند وكان قد باشر بعدة اصلاحات لاعداد جيش قادر على القيام بغزوات مستقبلية لاسيما بعد ان تمكنت دويلات المدن الاغريقية من أن تصمد أمامه، الا انه قبل ان يشرع بمحاولة غزوها مرة اخرى كان عليه تأمين الجبهة الداخلية من خطر سكان السهوب كالسكيثيين والسارماتيين.[4]

مرت سنوات عديدة منذ ان عاد السكيثيون الى السهوب الشمالية في شمالي القوقاز بعد الحملات الحربية التي قاموا بها في الشرق الادنى المحاربين القدماء المتمرسين بالحرب ماتوا منذ امد بعيد ودفنوا في الهضاب والسهوب يبدو ان دارا الاول (الكبير) كان قد اعد العدة للتخلص والانتقام من السكيثيين بعد غزوهم مناطق غربي اسيا في ابان حكم الامبراطورية الميدية (745-550ق.م)، سار دارا الاول (الكبير) بعد ان اخمد الانتفاضة التي قامت في بلاد بابل بحملته ضد السكيثيين عبر فيها بجيشه مضيق البوسفور خلال اوروبا الشرقية واخضع خلال مسيرته بعض القبائل المنتشرة على الطريق وواصل مسيرته عبر نهر الدانوب وصولا الى جنوب أوكرانيا[5].

بعث دارا الاول (الكبير) بفرقة استطلاع قبل ان يتقدم لغزو سكيثيا في الوقت الذي سار احد قواده (اريارامنز) بأسطول بحري تألف من مائة سفينة رست عند الساحل ومنها ترجلت قواته سابرة داخل البر استطاعت هذه القوات من اسر بعض السكيثيين ومنهم الاخ الغير الشقيق لملك السكيثيين، نوايا دارا الاول (الكبير) لشن الحرب باتت واضحة للسكيثيين خاصة بعد ان حشد جيشا كبيرا واسس جسرا بواسطة القوارب عند نقطة (هيلسبوت[6]) للانسحاب في حال خسارة الحرب[7].

(1) مدينة بيسان وهي واحدة من أقدم المدن الفلسطينية تقع على بعد 83 كم شمال شرق مدينة القدس.
(2) صموئيل 31:11
(3) Cernenko, op.cit., P. 40.
(4) Cernenko, op.cit., P. 22.
(5) Tuplin, Christopher, Revisiting Dareios, Scythian Expedition, 2010, P. 281.
(6) مضيق جبلي طبيعي في شمال غربي تركيا.
(7) Cernenko, Ibid., P. 23.

عبر دارا الاول (الكبير) جسر القوارب وضرب صميم القبائل الثراسية (التراقية[1])، بحلول ربيع 512 ق.م تمكن دارا الاول من الوصول لنهر الدانوب ومن تلك النقطة بدأت قواته تنساب عبر الضفة اليسرى للنهر بأتجاه مناطق السكيثيين، علم السكيثيون بالخطر الذي يداهمهم وكان على يقين بانهم لن يستطيعوا مجابهة هكذا قوة كبيرة فطلب قادة مجلس الحرب السكيث من القبائل المجاورة المساعدة وحذروا بأن الفرس لن يكتفوا بغزو سكيثيا لوحدها.

أنقسمت اراء القبائل المجاورة ورفضت اغلب هذه القبائل فكرة تشكيل حلف وعزوا ذلك ان الفرس يريدون الانتقام من السكيث لوحدهم للغزوات التي قاموا بها في السنين الماضية وبيتوا نية التصدي للفرس في حال وجدت لداريوس نوايا اكبر للتوسع، عند ذاك انقسمت سكيثيا الى ثلاث ممالك منفصلة، الاولى التي مثلت القبيلة الاكبر كانت تتبع الملك (أيدان ثيرسس) والمملكتين الاخريين اتبعت كل من (سكوباسز) و (تاكساسز) وقاد كل ملك قبيلته على حدة، راهن مجلس قادة السكيثيين على عامل الوقت وحاولوا تشتيت جيش داريوس على امل ان يحل التعب في جيش الفرس ويعدلوا عن غزو سكيثيا، امر مجلس القادة الانسحاب من امام جيش الفرس وقاموا بردم ابار الماء من خلفهم وحرقوا العشب والزرع بسياسة ربما اصلت لما عرف بـ (سياسة الارض المحروقة) أ أطفال وشيوخ ونساء السكيثيين اتجهوا شمالا يسوقون في طريقهم قطعان الماشية، فقط الشباب المحاربين والنساء الذين لهم قدرة على القتال صمدوا في السهوب[2]، انقسم الجيش الى قسمين الاول والذي كان الاكثر قدرة على التنقل كان بقيادة (سكوباسز) توجه صوب الدانوب لملاقاة العدو المتمركز قرب السفن ولتفادي الصدام المباشر قبل الوصول الى الدانوب اتجه جيش السكيث شرقا تاركين جيش الاخمينيين في لعبة مطاردة مرهقة اما الجيش الاكبر بقيادة (ايدان ثيرسس) و (تاكساسز) انسحبوا بموازاة جيش الفرس لمنعهم من الوصول الى الملاذ الامن في الشمال حيث الاطفال والشيوخ، الخطة بقيت مستمرة في حرق الارض ودفع الفرس بأتجاه السهول الخالية من الماء لاتمام عملية اضعاف الجيش ولمهاجمته في حال سنحت الفرصة المواتية[3].

نعلم مما ذكر هيرودوتس بأن معظم جيش دارا الاول (الكبير) كان من المشاة والقليل من الخيالة على عكس جيش السكيثيين الذي ضم العديد من الخيالة المدربين استمر السكيث في استدراج دارا الاول (الكبير) وقطعوا في استدراجه مسيرة كبيرة امتدت على مدى ستين يوما، بعد ان احس دارا الاول (الكبير) وجيشه بالتعب امر بأنشاء حصن قرب بحر (ازوف) ذلك الحصن الذي لم يتم بنائه بالكامل اذ وجدت جدرانه على نصف الارتفاع، بعد ذلك ارسل دارا الاول (الكبير) رسوله للملك السكيثيين (ايدان ثيرسس) وخاطبه بالقول:-

«ايها الرجل الغريب لم تستمر بالهرب من أمامي ولم تقاتل عندما سنحت لك الفرصة، اذا كنت تعتقد انك قوي كفاية فأبق وقاتل، أعترف بأنك اضعف مني وبسلطاني عليك، عندها سأتوقف عن ملاحقتك»، فخاطبه ملك السكيثيين (ايدان ثيرسس) قائلاً : (أنا لم اهرب منك قط ولم اخف، انا بدوي رحال واجول في السلم والحرب انت تسأل

(1) قبائل ذات أصول هندو-أوربية عرفت بالتراقيين وسكنت في تراقيا في جنوب شرق أوربا بين بلغاريا و اليونان حاليا، عن ويكيبيديا

(2) Ibid., P. 25.

(3) Ibid., P. 26.

لما لم اقاتلك لمرة واحدة، دعني اذكرك... نحن ليس لدينا مدن او ارض مزروعة نملكها فنخاف عليها، لذا لا نخشى على مناطقنا من ان تسلب، ليس لدينا سبب لقتالك، بعدها قام ملك السكيثيين بأرسال هدايا غريبة لدارا الاول (الكبير) كانت عبارة عن فأر- ضفدع - طير-خمسة سهام، لم يفهم دارا الاول (الكبير) المغزى من هذه الهدايا بادىء الامر الا ان التفسير الصحيح عرف لاحقا، فقد قصد ملك السكيثيين ما معناه، أيها الفرس اذا لم ترحلوا بعيدا مثل الطيور أو تختبئوا داخل الجحور كالفئران أو تقفزوا الى البحيرة مثل الضفادع فأنكم لن تروا بيوتكم واهليكم مجدداً [1].

بعد ان تسلم دارا الاول (الكبير) الخطاب بأن السكيثيين يعرضون عليه المعركة الحاسمة، بدأ دارا الاول (الكبير) بجمع قواته بعد ان خسر العديد في المناوشات التي وقعت بين الجيشين خاصة وان السكيث اصحاب الارض باغتوا جيش داريوس مرات عدة مختبئين بين حشائش السهوب العالية وتقهقر داريوس عائدا نحو الدانوب باتجاه السفن التي ابقاها في الانتظار وترك الجرحى وقتلى جيشه خلفه، بعد هزيمه داريوس تعززت سمعة السكيث بأنهم اقوام لا تقهر [2].

بعد نجاح السكيثيين في التخلص من دارا الاول (الكبير) توسعوا شمالا حتى وصلوا حدود بولندا حالياً فترة القرن الرابع قبل الميلاد شهدت قمة ازدهار السكيثيين ومنذ ذلك الوقت بدأ مؤشر الخط البياني لامبراطوريتهم بالانهيار التدريجي بخطى ثابتة وتمكن السارماتيين من احتلال مناطق السكيث ودفعهم بأتجاه اسيا الصغرى لاسباب غير معروفة حتى أختفى السكيثيين بعدها كقوة مهمة لعبت دورا كبيرا في مسار الاحداث تاركين خلفهم ارثاً حربياً كبيراً.

(1) Cernenko, op . cit., P. 29.
(2) Ibid., P. 29.

المبحث الثالث
جوانب من تنظيماتهم العسكرية

المطلب الاول:

أ - الجيش السكيثي : من الصعب اعادة بناء التنظيم الدقيق للجيش السكيثي الا ان ما توافر من مصادر كتابية تشير الى ان الجيش كان ينقسم الى قسمين (الخيالة والمشاة)، يبدو ومن خلال المعلومات الاثارية بأن الخيالة كانت الذراع اليمنى للجيش، وقد ذكر(ديودرس الصقلي) بأن جيش السكيثيين كان فيه من الخيالة بضعف عدد المشاة الذين نزلوا لارض المعركة، كذلك كان كل فارس يمثل رامي سهام يمتطي صهوة جواد وكان السكيثيين من ابناء الطبقة الفقيرة يجهزون بتجهيزات بسيطة قد لا تتعدى سترة من الفرو وغطاء رأس على عكس نبلاء السكيثيين (انظر الشكل 2) والذين كانوا القوة الضاربة من المقاتلين المحترفين والمجهزين بالاسلحة والدروع الثقيلة وقاتلوا في صدارة الجيش، المرأة ايضا كان لها دور في القتال ويخمن بان عدد الجيش ربما كان يصل لـ مائة وخمسين الف مقاتل [3].

شارك السكيثيون منذ بداية ظهورهم كقوة على مسرح الاحداث العالمي آنذاك في حملات كبرى وساهموا في القضاء على العديد من الممالك كـ اشور، أورارطو، بابل، ميديا وفارس، يذكر هيرودوتس بان السميريون (الكمريون) قد سبقوا السكيثيين في استيطان منطقة البحر الاسود ومن اتى السكيثيين وتغلبوا عليهم وفرقوهم في بلدان

(3) Cernenko, op. cit., P.20.

غرب آسيا[1].

لربما يعود السبب في تقدم السكيثيين بالحرب الى مدى براعتهم في ركوب الخيل والى صناعاتهم الحربية المتفوقة لاسيما الدروع التي مكنت المحارب من ضرب عدوه بالوقت الذي يحمي المقاتل السكيثي نفسه من ضربات الاعداء، وكانت أسلحة الجيش قد تشكلت بفضل الخبرة وربما بسبب تقليد صناعة الاسلحة التي شاهدوها خلال حملاتهم للشرق الادنى، حيث لم يستعمل السكيثيون قبل فترة وصولهم للشرق دروعا حامية، معلوماتنا عن اسلحة السكيثيين جاءت من خلال عادات الدفن التي مارسها هؤلاء الاقوام وتجهيز الميت بالاثاث الجنائزي سوية مع احتياجاته الضرورية في حياة ما بعد الموت، لذا وجدت البقايا الغنية من الاسلحة والدروع المختلفة اثناء التنقيب في مقابرهم الممتدة في السهوب حيث كان قبر المحارب يحتوي على القوس، السهام، الرماح والدرع الحامي[2].

المطلب الثاني : آلات الدفاع والهجوم:

أ – الدروع:

كانت الدروع منتشرة على نطاق واسع في منطقة الشرق الادنى القديم الا ان دروع منطقة السهوب أصبح الاكثر تميزا والذي صور منفردا في الفن السكيثي[3] ، الدروع من منطقة الشرق الادنى تألفت من مشد مصنوع من الجلد المرن مع حلقات معدنية متداخلة مصنوعة من خليط البرونز او معدن الحديد، وفرت هذه الدروع حماية كافية ضد ضربات السيوف وطعنات الرماح، بعد اختبارات عديدة تمكن السكيثيون من ان يطوروا نظام متداخل للحلقات شبيه بـ»قشور السمك» او مايطلق عليه اصطلاحا بـ (الزرد) الذي بقي في الاستخدام لفترة طويلة، طبق السكيثيين هذا الابتكار على التجهيزات الدفاعية الاخرى كالخوذ والالبسة[4].

صنعت هذه الدروع على شكل الجسم بعد قص قطع المعدن بمقصات حديدية والعديد من هذه الدروع زودت بأكمام لتأمين الحماية الكاملة لمن يرتديها الدروع التي امنت الحماية للفارس السكيثي تنوعت في الشكل والتصميم (انظر الشكل 3) والبعض منها كان خفيفا بحيث انه كان مزودا بالحلقات المعدنية على منطقتي الرقبة والصدر فقط، وزودت الاكمام بالحلقات المعدنية فضلا عن ان الكتف تمت حمايته باضافة الزرد[5].

ب – الخوذ:

تجهيزات الحماية لم تقتصر فقط على الدروع الخاصة بالجسم وانما شملت الخوذ التي توفر حماية للرأس، ارتدى مقاتلوا السكيث في حدود القرن السادس ق.م خوذا كبيرا وثقيلة صنعت من قوالب البرونز والتي كانت تلبس بصورة محكمة على الرأس ووفرت حماية لجمجمة المقاتل فضلا عن تزويدها بقطع لحماية الوجه وتركت ما بينها فتحات لأجل النظر، العديد من نماذج هذه الخوذ عثر عليها في شمال القوقاز (أنظر الشكل 4)

(1) George. Rawlinson, the History of Herodotus, VOL III, Chapter II (New York), 1985,P. 46.

(2) Cernenko, op. cit., P.5.

(3) Albert E. Dien, Journal of East Asian Archaeology, Vol II, 2000,P. 22.

(4) Cernenko, op. cit., P. 7.

(5) Ibid., P. 7.

بالاخص في منطقة كوبان جنوبي روسيا[1].

في حدود القرن الخامس ق.م أصبحت الخوذة الاغريقية الاكثر رواجا بين الرجال النبلاء اذ تم العثور على ما يربو من ستين خوذة صنعت في بلاد الاغريق ووجدت بداخل القبور الممتدة في السهوب، كانت هذه الخوذ الصلبة ذات الاوزان الخفيفة قد صنعت وفق الطراز الفني الكورنثي (انظر الشكل 5)[2].

أما بالنسبة لرداء الجسم السفلي فقد أرتدى السكيث نوعا من البناطيل المجهزة بـ (درع الساق) والذي ارتداه القادة وعثر على نماذجها ضمن الهدايا الجنائزية في القبور السكيثية التي تقع قرب مدينة لينغراد (مدينة ساينت بطرسبرغ حالياً)[3].

جـ - الاقواس والسهام:

يبدو انه كان لكل فرد سكيثي قوسا وسهاما، احتوت جميع قبور الرجال تقريبا على كمية كبيرة من السهام، كذلك كانت النسبة كبيرة فيما يتعلق بقبور النساء نوعا ما حيث ضم كل قبر امرأة من أصل ثلاث قبور على اقواس وسهام فضلا عن وجود هذين العنصرين الهجوميين بداخل قبور الاطفال أيضاً[4]، القوس والسهام لازمت السكيثيين من المهد الى اللحد ولم تفرق بين الفقير والملك ووجودها بكثرة ضمن الهدايا الدفنية ربما يعود لاعتقاد بأن الميت سيحتاج الى قوسه ليصطاد وكذلك ليقاتل في العالم الاخر، رؤوس السهام يمكن العثور عليها لكثرتها في جميع هضاب يوراسيا فضلا عن انها انتشرت عبر اوروبا الشرقية وغربي ووسط اسيا، اذ عثر في الصين تحديدا في منطقة (زنجيانج) على العديد من الاقواس في مقبرة (يانغي)[5].

مثـّل الخشب والعظم واوتار الحيوانات مادة لصناعة هذه الاقواس وجميع هذه المواد كانت عرضة للتلف والتحلل، من بين ما يقارب الخمسة الالاف قطعة من الاقواس نجت بعض القطع والتي وجدت بحال سيئة والتي لا يمكن اعادة ترميمها، هناك وثيقة كتابية تمثل رسالة كتبت بالاغريقية تصف الاقواس التي استخدمها السكيثيون، نقرأ منها بعض الاسطر:

(أن الاقواس التي يستخدمها عامة الناس صنعت من أغصان مرنة لينة، بينما صنعت اقواس السكيث كأنها هلال القمر، نهاياتها معقوفة الى الداخل)، وهذا الوصف الذي جاء في رسالة لصاحبها امانيوس مارسيلينوس يتفق مع الوصف المصور للأقواس التي نقشت على الابريق الذهبي والكاسات الذهبية والفضية التي عثر عليها بداخل القبر السكيثي في منطقة (كولوبا) او تل التتار القرميون (أنظر الشكل 6).

كانت السهام تطلق من القوس بواسطة الوتر

---

(1) Esther. Jacobson, The Art of the Scythians: The Interpretation of Culture at the edge of the world, P. 161.

(2) Amandry P, "Casques grec a décor grave", Bulletin de Correspondances Hellenique, 1949, P.P. 438439-.

(3) Galanina, Liudmila, the Golden Deer of Eurasia, P. 57, Metropolitan Museum, New York.

(4) .Cernenko, op. cit., P .11

(5) Karpowicz, Adam and Selby, Stephen, "Scythian Bow from Xinyang", published in Archer- Antiquities, Vol 53, 2010.

المصنوع من شعر الخيل أو امعاء الحيوانات كانت السهام مصنوعة من القصب او من الاغصان الرفيعة لشجرة البتولا، الريش على السهم للتوجيه كان يؤخذ من ريش الحمام، رؤوس السهام كانت تصنع من الحديد او البرونز وفي احيان قليلة من العظم، كانت هناك تصاميم عديدة منها ما خصص للصيد ومنها ما خصص لاختراق الدروع والخوذ في الحرب، رؤوس السهام الثلاثية عثر عليها بكميات كبيرة في القبور وتمثل صناعة متقدمة من ناحية مقاومتها لديناميكية الهواء (أنظر الشكل 7) ودقة التصويب، يبدو ان القوس السكيثي كان قادرا على اصابة هدفه بدقة عالية، تم العثور بداخل قبر أغريقي قديم في المدينة التجارية (أوليبا) على كتابة أو نقش بخصوص شخص اسمه (اناكسا كوراس) تلقى ضربة بسهم من مسافة 282 اوريكاي أي ما يساوي 521 مترا والتي كانت سببا في موته[1] .

مجموع السهام التي كان يحملها المقاتل في جعبته كان يتراوح ما بين الثلاثين والمائة سهم ولنا ان نتصور ما يمكن ان يفعله المئات من الرماة كقوة هجومية تمطر العدو بوابل من السهام[2]، اما القوس فكان صلبا ومشدودا لدرجة كبيرة تحتاج مهارة وقوة لاستخدامه.

د – السيوف والخناجر:

لعبت السيوف والخناجر دورا مهما في حضارة وديانة هذه الاقوام اذ مر ذكر الاله السكيثي (اريس) وكيف انهم قاموا بطقوس القرابين البشرية الغريب باختيار اسير واحد من بين مائة من الاسرى واشعال النار الكبيرة حول السيف[3] ، من المحتمل ان اصل شكل السيف السكيثي يعود الى (السميريون) الذين سبقوهم وكان السيف بحافتين أو جانبين متوازيين وكان بطول يتراوح ما بين 60–70 سم وبعض النماذج القليلة من السيوف تعدى طولها المتر، أقدم الامثلة للسيوف جاءت من منطقة (ملكنوف) و (كليرمس) حيث عثر على سيفين متشابهين في الشكل العام ومختلفين في بعض من التفاصيل الثانوية، كلا السيفان تم ترصيعهما بالذهب وبالاشكال الهندسية والحيوانية كالغزال والماعز، الاسود، الثيران، الاسماك ورماة السهام بالاضافة الى الهين مجنحين يقفان حول شجرة[4].

أما الخناجر فكانت تشبه في الشكل العام السيوف وتراوحت أطوالها ما بين 35–40 سم وكانت الخناجر توضع بداخل غمد والذي يصنع عادة من الخشب المغلف بالجلد ويعلق بحزام المقاتل بواسطة حلقة معدنية، من خلال المنحوتات السكيثية يبدو انه الخنجر كان يعلق الى الامام من الجهة اليمنى[5].

هـ – الرماح والفؤوس:

الرماح كانت قد استخدمت على نطاق واسع من قبل السكيثيين اذ وجد وبنسبة ثابتة تقريبا رمح او رمحان بجانب هيكل كل محارب، في بعض القبور ذات الطابع الملكي يصل العدد تقريبا الى عشرة رماح، تراوحت اطوال الرماح ما بين 170–180 سم وكانت تستخدم لكلا الرمي البعيد والطعن القريب نصال الرماح طغى على تصميمها شكل الورقة وتراوحت اطوالها ما بين 30–72 سم علما بأن النصال الاطول كانت مخصصة لاختراق

(1) Cernenko, op.cit., P. 12.
(2) Ibid., P. 12.
(3) Francias, Hartog, the Mirror of Herodotus, P. 190, 1988.
(4) Gocha R. Tsetkhaldze, the Greek Colonization of the Black Sea, P. 81, Stuttgart, 1998.
(5) Ibid., P. 82.

الدروع[1].

أما بالنسبة للفؤوس فقد عثر على ما يقارب من مائة قطعة (أنظر الشكل 8) ايضا في مقابر السهوباً أحد هذه القطع المميزة عثر عليها في مدينة (كليرمس) بشفرة حادة تشابه تلك المستخدمة في فؤوس سكان اميركا الاصليين من الهنود الحمر والمسماة (توماهوك) ومزينة بأشكال حيوانات ومخلوقات اسطورية[2].

الاستنتاج:

- نستنتج مما تقدم بأن هذه الاقوام البدوية التي ظهرت في اواسط اسيا استطاعت وخلال فترة قصيرة من الزمن من ان تصل الى مصاف الامبراطوريات الفارسية القديمة القريبة منها جغرافيا مثل المملكة الميدية والاخمينية، واستطاع هؤلاء من ان يطردوا الاقوام السميرية من شبه جزيرة القرم ويحلوا محلهم.
- استطاع السكيثيون من ان يحققوا تقدما كبيرا على نطاق صناعة الاسلحة وبرعوا في التعامل مع المعادن وقاموا بتطوير الالات الحرب التي شاهدوها اثناء تنقلهم في منطقة الشرق الادنى القديم واحتكاكهم المباشر مع بلاد اشور فنراهم طوروا الدروع وحسنوها الى درجة كبيرة لتأمين حماية شبه كاملة لمقاتليهم من حملة الرماة، كذلك يبدو من خلال دراسة ما تركوه من هدايا جنائزية بأن مفهومهم الديني تركز حول عقيدة الايمان بحياة ما بعد الموت فنراهم قد جهزوا القبور بكامل الاحتياجات الحربية التي يحتاجها الفرد السكيثي المقاتل من اقواس وسهام وسيوف ورماح لاجل الصيد والقتال والتي أيضاً رافقت قبور الاطفال.
- كان للسكيثيين باع في السياسية فنراهم تحالفوا مع الميديين والكلديين وكذلك الاشوريين ومن ثم ما لبثوا ان انقلبوا على الاشوريين وساهموا في اسقاط نينوى عام 612 ق.م، حنكة السكيثيين امتدت الى اتباع سياسة ارهاق جيش الفرس الاخمينين بقيادة دارا الاول (الكبير) الاخميني واجباره على الانسحاب من سكيثيا، وسيظل سر اختفاء مملكة سيكيثيا لغزا في حدود القرن الثالث قبل الميلاد بعد ان تمكن السارماتيين من ازاحتهم والسيطرة على اراضيهم.

(1) Cernenko, op.cit., P.P. 17 -19.

(2) Adriene Mayor, The Amazons, Lives and legends of the warrior women across Ancient World, P. 221, 1995.

المصادر

- الكتب العربية:
- العهد القديم (سفر التكوين، سفر ارميا، صموئيل) .
- طه باقر، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، الجزء الاول (الوجيز في تاريخ حضارة وادي الرافدين)، ط2 ، بيروت، دار الوراق، 2009.
- هاري ساكز، (عظمة بابل – موجز حضارة بلاد وادي الرافدين القديمة)، ترجمة عامر سليمان، الموصل، 1979.

المصادر الاجنبية:

- Alexander Lubotsky, Scythian Elements in Old Iranian, Leiden University, 2002.
- Anna Kuzentsov, Shamanism and Orphic Tradition, Novosibrisk State University, Russia.
- Albert E.Dein, Journal of East Asian Archaeology, VOL 2, 2000.
- Amandary P, Casques Grec a décor grave, Bulletin de correspondances Hellenique, 1949.
- Adam Karpowicz and Stephen Selby, Scythian Bow from Xingang, Published in Archer-Antiquities, VOL 53, 2010.
- Adriene Mayor, The amazons: lives and legends of warrior women across ancient world, 1995.
- Christopher Tuplin, revisiting Dareios Scythian Expedition, 2010.
- Cernenko E V., Men at arms series, The Scythians 700300- BC, OSPREY Military, London, 1989.
- Esther. Jacobson, The Art of the Scythians: the interpretation of culture at the Edge of the Hellenic World.
- Francias Hartog, the Mirror of Herodotus, 1988.
- George Rawlinson, the History of Herodotus, VOL 3, New York, 1985.
- Galanina Liudmila, The Golden Deer of Eurasia, Metropolitan Museum, New York.
- Gocha R. Tsetkhaldze, The Greek Colonization of the Black Sea, Stuttgart 1998.
- J. Harmatta, “Herodotus, historian of the Cimmerians and the Scythians” in: Hérodote et les peuples non Grecs. Neuf exposés suivis de discussions (Entretiens sur l’ Antiquité classique, tome XXV) (1990 Genève(.
- Joze, Stevens, and Setledzky, Secrets of Shamanism, Avon Books, New York, 1988.
- Luckenbill, ancient records of Assyria and Babylonia, London 1968.

الأشكال

الشكل (1) مملكة سكيثيا عن **Cernenko**

الشكل (2) محارب سكيثي عن Cernenko

الشكل (3) الدرع السكيثي عن Cernenko

الشكل (4)
خوذة الرأس السكيثية عن Cernenko

الشكل (5)
خوذة الرأس الاغريقية – الطراز الكورنثي

الشكل (6) اناء ذهبي منقوش برماة السهام وحاملي الرماح

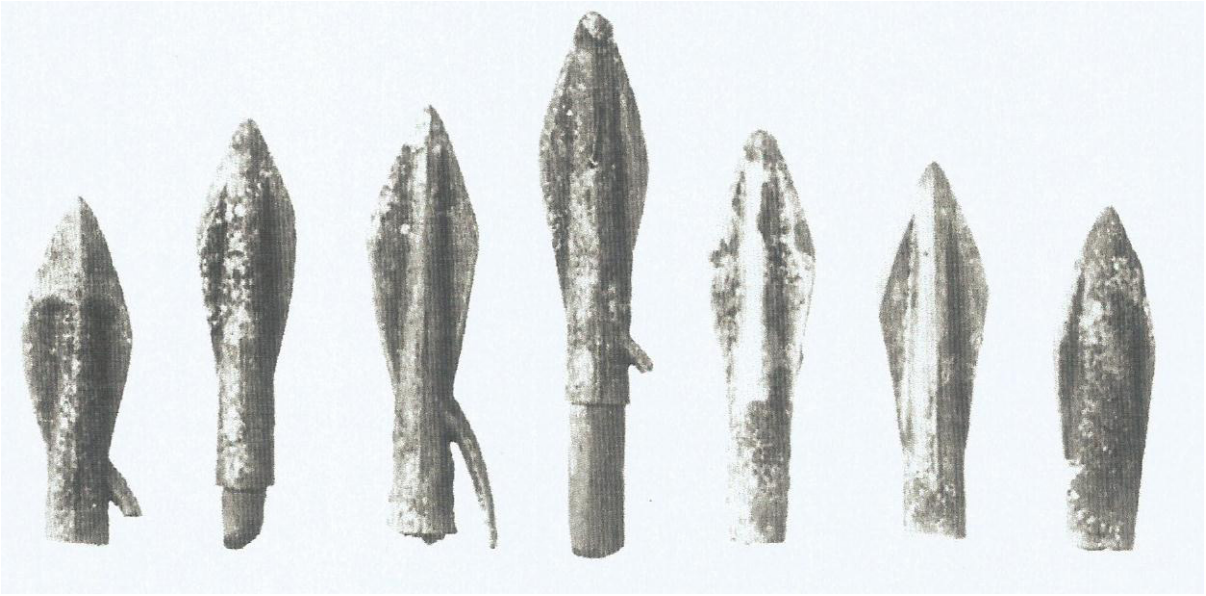

الشكل (7) نصال السهام السكيثية

الشكل (8) فأس سكيثية